برنامج

"الحج عبادة وسلوك".

لفضيلة الشيخ

www.almosleh.com

((الحلقة التاسعة ..الحج عبادة وسلوك)).

الحج ركن من أركان الإسلام، والإسلام كله في أصوله، وفروعه، في أركانه، وأصول إيمانه، كله يحقق العبادة لله وحده لا شريك له.

إن الإسلام هو الاستسلام لله تعالى وحده بالتوحيد، أن يكون القلب مليئا بمحبة اللهﷻ، أن يكون القلب ممتلئ بتعظيم اللهﷻ، أن يكون القلب لله وحده لا شريك له، لا يلتفت إلى سواه، لا يقصد غيره.

فالقلب لا يسكن ولا يطمئن ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يجد راحته، ولا طمأنينته ولا هدوءً إلا في أن يوجه عمله للهﷻ وأن يوجه قصده له وحده لا شريك له.

بقدر ما يكون معك من الإخلاص للهﷻ، والتوحيد له جل في علاه، وتحقيق لا إله إلا الله في قلبك وعملك، بقدر ما يكون معك من هذا بقدر ما تفوز من السعادة، بقدر ما تدرك الفلاح، بقدر ما تكون من السعداء.

يقول الله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١).

ويقول جل وعلا:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، أي بشرك، ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾(٢).

لذلك ينبغي للمؤمن أن يستحضر هذا المعنى، وأن كل العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحج، وسائر الشرائع والفرائض، وسائر الواجبات والمطلوبات، كلها شرعت لتحقيق هذا المانع، وهو أن يكون القلب خالصاً لله وحده لا شريك له، لا يشوبه في ذلك شركة، ولا يكون له في ذلك مشارك، بل كل العمل للهﷻ لا شريك له.

وقد دعا النبيﷺ كما جاء في الأثر :«اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة»(١).

---

(١) سورة فصلت:٣٠.

(٢) سورة الأنعام:٨٢.

هذا بخصوص الحج، سأل الله تعالى أن يكون حجه خالصاً ليس فيه قصد لسواه، لا رياء مقارن، ولا سمعة لاحقة.

وهذا تنبيه إلى أنه ينبغي للحاج ألا يقصد في حجه إلا مرضاة ربه.

لا تقصد بهذا الحج الذي تنفق فيه مالا، وتتعب فيه جسدا، وتفارق فيه وطنا، وتخرج فيه عن مالك ومألوفك، إلا الله جل في علاه إذا كنت ذا إخلاص، ذا قصد حسن فأبشر فإن العطاء كبير.

أما أن يخرج الإنسان وقد قصد غير اللهﷻ من أمور الدنيا وأمجادها، فهذا قد أتعب راحلته، وكد بدنه، وصرف ماله، لكنه لم يعد من ذلك بأعظم عائد، وأكبر مستفاد وهو رضا الله جل في علاه.

أخي الحاج، أختي الحاجة، اتقوا الله تعالى في مقاصدكم، فالحج هو التوحيد للهﷻ، هو تحقيق ذلك في القول: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"، هذا هو شعار التوحيد.

كما جاء في حديث جابر في وصفه لحج النبيﷺ فلما استوت به راحلته على البيداء أهل بالتوحيد، يعني قال: "لبيك اللهم لبيك"، رفع صوته بهذه الكلمات المتضمنة كمال الإخلاص للهﷻ، وكمال الإخلاص له وحده لا شريك له، سبحانه وبحمده.

ولذلك ينبغي للحاج أن يستحضر هذا المعنى، وأنه إنما يقصد الله جل وعلا ويعظمه، حتى إذا جاء إلى هذه البقاع المباركة فإنه إنما يفعل ما يفعل من أعمال طاعة لله، لا يعظم في ذلك حجراً إلا لأن الله أمر بتعظيمه، ولا يعظم مكاناً إلا أن الله أمره بتعظيمه.

---

(١) أخرجه الترمذي في " الشمائل " (ص ١٩١) و ابن ماجه(٢٨٩٠)، وصححه الألباني.

فلا يرجو من مخلوق نفعاً ولا ضراً، إنما يرجو من الله العظيم الكبير المتعال جل في علاه ألا يخيب سعيه، وأن يقبله في عباده الصالحين.

إن الحج عبادة يظهر فيها الإخلاص جلياً في تلبيتها، وفي أعمالها، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه.

ولهذا قال النبيﷺ :«اللهم اجعلها حجة لا رياء»[١]، أي ينظر الناس فيها إليَّ، وأكون قد قصدت نظرهم، وأكون قد قصدت مدحهم، وثناءهم، «ولا سمعة»، أي ولا تسميع بالعمل، وذلك أن يقول الإنسان حججت، وفعلت، وتقربت إلى اللهﷻ ، فيسمع بعمله، «ومن سمَّع سمَّع الله به»[٢]، ومن سمَّع بعمله جازاه الله نقيض ما قصد.

فهو يقصد بهذا التسميع أن يمجد نفسه عند الناس، وأن يعلي مترله، وأن يذكر فضائله، فيعاقبه الله بنقيض مقصوده فيسمع به سوءا وشراً ويظهر سوءته وعيبه، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من الخزي، وأن يجعل عملنا كله صالحاً، وأن يجعله له خالصاً، وألا يجعل فيه لأحد غيره نصيباً.

إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ومن طيبه جل وعلا أن جعل العمل المقبول هو ما كان له خالصاً، فقد قال كما في "الصحيح" من حديث أبي هريرة،«يقول الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه»[٣].

لذلك منذ أن تخطو الخطوة الأولى -أخي الحاج- احرص على أن يكون حجك لله خالصاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري(٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٣) أخرجه مسلم(٢٩٨٥).

ثم اعلم أن لك من الأجر والمثوبة عند اللهﷻ بقدر ما يقوم في قلبك من الإخلاص له، ومن قصده، وألا تنظر إلى الناس بأي نوع من النظر، لا تطلب من الناس أجراً على عملك، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1].

لذلك جاء الرجل إلى النبيﷺ كما في "السنن" من حديث أبي أمامة الباهلي، قال :"يا رسول الله! الرجل يجاهد يرجو الأجر من الله، والذكر من الناس، ما له".

يعني أي شيء له، ما الذي سيفوز به، إذا كان هذا قصده، وهذا غرضه.

قال النبيﷺ:«لا شيء له»[2].

أعاد الرجل وقال :"يا رسول الله: الرجل يقاتل"، والحج نوع جهاد، يرجو الأجر والذكر، عمل هذا العمل يرجو الأجر من الله والثواب ويرجو أن يمدحه الناس يقولون: بسم الله ما شاء الله، فلان مجاهد، فلان ما شاء الله حاج، فلان ما شاء الله لا يتخلف عن الحج، فلان ما شاء الله، حج في الحملة الفلانية، حج مع العالم الفلاني، وما إلى ذلك مما يمتدح الناس به أعمالهم.

" ما له"، أي شيء له إذا أراد الحج وأراد ثناء الناس؟.

يقول النبيﷺ :«لا شيء له»، الله أكبر.. لا شيء له، كل هذا التعب وكل هذا الضنا، وكل هذا الجهد يذهب هباء منثورا، لا شيء له.

لذلك يا أخي اتق الله ولا تتعب نفسك فيما لا فائدة وراءه ولا طائل تحته، كن لله خالصاً في عملك، ابتغ الأجر عند الله، واعلم أنك إذا صدقت مع الله حقق لك الله ما تريد من جميل الذكر وطيب الثناء عند الناس، لكن لا يكون هذا قصدك، إنما قصدك ما عند الله.

---

(١) سورة الإنسان:٩.

(٢) أخرجه النسائي(٣١٤٠)، وحسنه العراقي.

أعاد الرجل على النبيﷺ مرة ثالثة، فقال: "الرجل يقاتل يبتغي الأجر عند الله والذكر من الناس"، قال النبيﷺ :«لا شيء له، إنما يتقبل الله من العمل ما كان خالصاً وابتغي به وجهه».

أي طلب به وجهه بأن يكون هو المقصود،﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[1].

(١) سورة الكهف:١١٠.